

مصر في عهد حياتها الجديد

أخطاء الماضي

بقلم الأنسة الأدبية ابنة الشاطئ

تستقبل مصر في العهد الحاضر حياة جديدة ؛ وترقب غدها المرجو في كثير من الثقة والأمل والاطمئنان .

ومن حق حاضرتنا أن نتعرف إلى ماضيها لنصحح أخطاءها ، لأن الإنسان لا يستطيع أن ينكر أمسه ويحمد ماضيه ، ولأن الشعوب لا تستطيع أن تقتطع حاضرها من قصة حياتها لتعيش له وحده ، وتبدأ به حياة جديدة لا تشوهها أخطاء الماضي .

وليت النسيان يفلح في محو هذه الأخطاء ، ليت تجاهلنا إياها يذهب بها ويمحو آثارها ، إذن لا نستطعن أن نبدأ اليوم حياتنا الجديدة وفي نفوسنا الثقة والأمل والإيمان ، لكنها أخطاء لا تمحى بالنسيان ، ويجب أن تصحح لنعفى العهد الجديد من تلك الوراثة المثقلة بالمتاعب والأخطاء .

لقد تجاهلناها نحن كما تجاهلها آباء وأجداد لنا من قبل ، فنقلت . . . ثم ما زالت الأيام تزيد في ثقافتها بما تضيف إليها من أخطاء جديدة ، حتى لنخشى اليوم أن ينوء المركب بما يحمل فيدركه الإغماء .

ولقد تحررت في عهدنا الجديد من المحتل الأجنبي ؛ ولكنها لم تحرر بعد مما يتقلها من أخطاء العصور والأجيال .

مرت عليها آلاف السنين والأعوام ، عرفت فيها ألوانا من الكفاح ، وكان كفاحها يتميز بكون واحد هو الذود عن الطابع المصري ؛ والاحتفاظ بشخصيتها في المحن التي مرت بها . وفي هذا العهد الطويل ، اختلفت على مصر أشكال من الحكم ، أساعت قليلا منها وعافت الكثير ، وكانت هذه الخطوب والمحن كافية لأن تشغلها عن الالتفات إلى داخلها والاهتمام بأبنائها : كانت تنظر دائما إلى خارج الحدود نظرة الحائف المترقب ، وكانت هذه النظرة تتفاوت في البعد ، فهي تتجاوز الحدود الجغرافية للوادي حين يتم لها لون من ألوان الاستقلال أو ما يشبه الاستقلال ، تذود عنه الجياع الطامعين في الوادي الخصب العجيب

وتقتصر نظرتها أحيانا حين يقتحم العدو أسوارها ويقم تحت سمائها ، فيعلق بصرها به إلى أقام ، تذوده عنها وتكافح في وقاية بينها مما ينفثه الاحتلال فيهم من ذلة وجمود .

وبين هذا وذاك ، شغلت مصر عما في داخل حدودها ... شغلت عن بينها فلم تلنفت إليهم وهم يمارسون حياة شقية مريضة وينحدرون إلى هاوية الذل والمرض والجهل والفقر. شغلت مصر عن بينها فلم تفكر في الحياة الاجتماعية التي فرضت على الكثرة الغالبة من أبنائها والتي رسبت فيها الأخطاء والأكاذيب ، ومضت ترتجل الحياة وتصطنع بعض الأساليب للنهضة وتفكر تفكيراً مضطرباً في بعض اصطلاحات متناثرة متفرقة لا تعرف قاعدة ولا ينظمها منهج واضح المعالم بين الحدود . . .

شغلت مصر عن شعبها ، ومضت السنون والأعوام ، ثم صمت بالأمس القريب تفتتح عهداً جديداً ، فإذا بقطع الظلام تراكماً في أنفها وتحول بينها وبين النور الجديد .

هذه قافلها قد همت بالسير إلى الغد المومق ، وبين أفرادها ألوف من المتعطلين خرجوا من معامل التوظيف يصيحون في طلب الوظيفة ثم يضجرهم الصباح فيتسكعون في المقاهي والطرقات ، لأن مدارسهم لم تهيئهم للكفاح ، وإنما أعدتهم للوظائف .

وفيهم عشرات الألوف من الأطفال الشرد الضالين ، قد نبذهم المجتمع وتركهم مصر هملاً ، فاحتضنهم الظلام وآوهم أوكار اللصوص ، ورحبت بهم مدارس الإجرام لتردهم إلى مصر في الغد لصوصاً مجرمين .

وفيهم مليون طفل من أبناء المدارس الأولية والإلزامية ، يساقون إلى المدارس ليكتبوا بأيديهم التحيلة الجائفة ، أعجب المذكرات عن قيصر والاسكندر وأوحيه القمر ، ويتعلمون سبك المعادن وتوريق الجدران ، وأمعائهم تتلوى من ألم الجوع والحرمان .

وفيهم ثلاثة عشر مليوناً من الأعمى الجاهلين يخبطون في ظلام جهلهم ، وتطمع مصر أن تنال بهم مكاناً في عصر العلم والنور .

وفيهم بمد ذلك ، بضعة ملايين من الفلاحين الأشقياء المجاهدين ، عملوا في مزرعة الذهب منذ عهد لا يعرفه التاريخ ، ولم ينالوا أبسط حق من حقوق الإنسان .

تسير مصر إلى غدها بهذه القافلة المتعبة المريضة وهي مع ذلك تطمح إلى مجد مرتقب ، وتحدث عن النهضة والقوة والاستقلال ، فهل تذكر أن مثل هذا الحدث لا يجوز إلا لدول ظهرت شعوبها من عناصر الضعف والمرض وأشاعت فيها معنى القوة والكرامة والحياة ؟

إن العبء ثقل ، ولكن يجب أن نواجهه ، فهو قد ثقل لأن آباءنا تجاهلوه وانصرفوا عنه إلى النود عن البلاد ، وما يجوز لنا أن نتجاهله في حاضرنا ، هذا الحاضر الذي عهد إليه في تسليم التاريخ المصري إلى الاجيال المقبلة .